(٧٨)

النُّورُ ﷺ

قال الله ﷻ مُثنيًا على نفسه:

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور: ٣٥].

جاء في «الصحيحين»: أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء: «اللَّهُمَّ! اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا».

وأيم الله! إن هذا من أثمن عطاءات الله للعبد؛ أن يرزقه نوره وهداه.

وحديثنا عن غذاء القلوب، ونعيم الأرواح، وبهجة النفوس، وهو أعظم غذاء وأنفعه وأجوده، وكما قيل:

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا
عَنِ الشَّرَابِ وَتُلهِيهَا عَنِ الزَّادِ
لَهَا بِوَجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ
وَمِنْ حَدِيثِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي
إِذَا اشْتَكَتْ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ أَوْعَدَهَا
رَوْحَ اللِّقَاءِ فَتَقْوَى عِنْدَ مِيعَادِ

❐ **في ظلال نوره:**

قال ﷻ: ﴿ۚ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور:٣٥].

ونصوص الكتاب والسنة -كما ذكر ابن تيمية ﷺ- التي سمى الله فيها نفسه (نورًا)، جاءت بثلاثة:

الأول: اتصافه بصفة النور، في قوله ﷻ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[الزمر:٦٩]، وفي الحديث: «وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ»[حديث صحيح. رواه ابن حبان].

الثاني: كونه ﷻ نورًا، ﴿ۚ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥]، وفي الحديث: «أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»[أخرجه البخاري ومسلم].

الثالث: حجابه النور، كما في الحديث الصحيح: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[أخرجه

مسلم].

سبحات وجهه: بهاؤه ونوره.

ونور الله ﷻ الذي يتصف به لا يشبه الأنوار المخلوقة؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].

وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنْ

أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي البُرْهَانِ

❐ أهديك كلمات..

قال العلامة عبد الرحمن السعدي ﷺ: "من أسمائه جَلَّ جَلَالُهُ ومن أوصافه: (النور)؛ الذي هو وصفه العظيم، فإنه ذو الجلال والإكرام، وذو البهاء والسبحات، الذي لو كشف الحجاب عن وجهه الكريم لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه.

وهو الذي استنارت به العوالم كلها؛ فبنور وجهه أشرقت الظلمات، واستنار به العرش والكرسي والسبع الطباق وجميع الأكوان، وهذا نور حسي.

وأما النور المعنوي؛ فهو: النور الذي نور قلوب أنبيائه وأصفيائه وأوليائه وملائكته؛ من أنوار معرفته وأنوار محبته، فإن لمعرفته في قلوب أوليائه أنوارًا بحسب ما عرفوه من نعوت جلاله، وما اعتقدوه من صفات جماله.

❐ حلاوة هدايته!

فإذا عرفت الله ﷻ أصبت أعظم المعارف كلها؛ فالعلم به أجل العلوم، والعلم النافع كله أنوار في القلوب، فكيف بهذا العلم الذي هو: أفضل العلوم وأجلها وأصلها وأساسها؟

وهنا؛ يصدق على قلبك قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾[النور:٣٥].

وهذا النور المضروب هو: نور الإيمان بالله ﷻ وبصفاته وآياته، مثله في قلوب المؤمنين مثل: هذا النور الذي جمع جميع الأوصاف.

ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ! اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا» [أخرجه البخاري ومسلم].

ومتى امتلأ القلب من هذا النور فاض على الوجه؛ فاستنار الوجه، وانقادت الجوارح بالطاعة مذعنةً مطيعةً؛ كما جاء في الكتاب والسنة، والله ﷻ يقول: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[النور:٣٥].

قال ابن سعدي ﷺ: "لما استنارت بالصلاة بواطنهم؛ استنارت بالجلال

ظواهرهم، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[الفتح:٢٩]".

وهذا النور يمنع العبد من ارتكاب الفواحش؛ كما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ..»[أخرجه البخاري ومسلم].

❐ كتابه نور:

أخبرنا الله ﷻ أن الكتب المنزلة من عنده: نور يضيء الله به قلوب العباد، قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة:٤٤]، وقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة:٤٦].

وأعظم الأنوار المنزلة: الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، قال ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[المائدة:١٥].

به أخرج الله ﷻ الذين آمنوا من الظلمات إلى النور: ﴿الٓرَ ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾[إبراهيم:١]، ولذا؛ لما علم الكفار مدى قوة تأثير هذا النور في هذه الأمة؛ جاهدوا أن يطفئوه، ولكن الله ﷻ حافظ كتابه، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الصف: ٨]، والله حافظ هذه الأمة مادامت متمسكة بكتابه ﷻ.

❐ خلاصة القول..

لما كان النور من أسمائه وصفاته؛ كان: دينه نورًا، ورسوله نورًا، وكلامه نورًا، ودار كرامته لعباده نورًا يتلألأ، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين، ويجري على ألسنتهم، ويظهر على جوارحهم، ويتم ﷻ عليهم هذا النور يوم القيامة؛ فالله قد قال: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾[التحريم: ٨].

اللهم يا نور السماوات والأرض! أتمم لنا نورنا، واغفر لنا؛ إنك على كل شيء قدير.